

## رسالة ميلادية

مكنا لولادة ملكية. واقع عيد الميلاد الأول بعيد كل البعد عن الصور الوردية التي قد تجدها على بطاقات عيد الميلاد اليوم!

ولكن الله يرى الأشياء بشكل مختلف. فضل مذوداً على قصر ملكي. واختار نجار بدلاً من ملك، وصمم ولادة هادئة بدلاً من احتفال عالمي. لماذا إختار الله، خالق السماء والأرض، أن يرسل ابنه ليولد في مثل مكان الوضع كهذا؟

ربما ولد يسوع في مذود لإعطاء الأمل لجميع الذين يعيشون حياة مشابهة لهذا الوضع. نحن بالتأكيد قد نصنع حالة فوضى في أمور حياتنا. حتى في بعض الأحيان نتنن أعمالنا. وعلى الرغم من أننا نحاول عمل أفضل ما يمكن، لا تزال رياح الشتاء تتسلل إلى زوايا حياتنا، و تزداد الليالي برداً وظلاماً.

أتعيش أيام كثيرة بعيداً جداً عن الله؟ وسنوات صعبة كثيرة مرت عليك وعلى الآخرين حولك؟ أتعيش فوضى عارمة؟ الله يعلم ذلك ... ولديه بعض الكلمات المدهشة لنا.

**أَبْتَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ...**

**وُلِدَ لَكُمْ مُخَلِّصٌ...**

**ما يمكننا أن نتعلم عن الله من عيد الميلاد:**

باستخدام كلمات دالاس ويلارد، لكثير من الناس، الله يشبه "الحدق الكوني الغامض". نصلي ولا يحدث شيء. ونعاني و الله صامت – حدقة كونية لا ترف.

حسنا، عيد الميلاد يغير كل ذلك. يظهر لنا عيد الميلاد أنه حتى ونحن لا يمكننا الوصول إلى الله، وصل الله إلينا. فانه ليس مجرد شخص يحدق فينا في دهنول. إنما قد وصل إلينا وعلى هيئة طفل.

يسأل أحد المؤلفين، فيليب يانسي: "إذا جاء يسوع ليكشف الله لنا، إذاً ماذا يمكنني أن أعرف عن الله من ذلك الميلاد الأول؟" ثم رد على هذا السؤال بالكلمات التالية (جزئياً حسب كتاب "يسوع الذي لم اكن اعرفه") :

**متواضع.**

قبل ميلاد يسوع، تقريباً لم يكن أي مؤلف قد استخدم "متواضع" كصيغة للإطراء. لحين نقطة حدث الميلاد -وبشكل لا يمكننا الفرار من منه والذي قد يبدو وكأنه من المتناقضات-: الله متواضع. الله الذي جاء إلى الأرض، جاء لا في عاصفة هوجاء ولا في نار أكلة. بل أن صانع كل شيء أصبح خلية صغيرة لا تكاد ترى بالعين المجردة، بل وولد في النهاية في مغارة ونام في مذود.

"الله أكبر، صرخة المسلمين، هي حقيقة لا يحتاج الناس كائن خارق الطبيعة لأن يدرك مفهومها"، يكتب الأب نيفيل فيجيس. "الله متواضع، هذه هي الحقيقة التي علمها يسوع

عيد الميلاد هو واحد من الأعياد الأكثر احتفالاً على نطاق واسع على وجه الارض، يحتفل به أكثر من ٢,٥ مليار شخص. على الرغم من أنه يوم عيد مسيحي تقليدياً، إلا أنه يحتفل به على نطاق واسع من قبل العديد من غير المسيحيين كذلك. ويأتي يوم عيد الميلاد الحديث مرفوقاً بالكثير من التقاليد وتحيط به السمي التجارية. ولكن في مكان ما في التقاليد وبين كل الصخب والضجيج دفنت حقيقة معناه. حتى البعض منا الحاملين للإيمان المسيحي في كثير من الأحيان، نفقد رؤية المعنى الحقيقي. بين شراء هدايا وتركيب شجرة وتزيين المنزل وزيارة الأصدقاء والعائلة، يجب علينا أن نفق ونسأل أنفسنا ما هو عيد الميلاد؟

البعض يمكن أن يقول ببساطة أنه قد كان هناك طفل اسمه يسوع ولد في مذود قبل ٢٠٠٠ عام. ولكن ماذا بعد، كيف ينطبق علي هذا؟ وبماذا يهمني؟ أنا متأكد من أن بعضكم سيقولون إن الطفل هو مخلصنا بالطبع، والذي سوف يموت عن خطايانا بعد ذلك. صحيح، ولكن حتى هذا لا يذهب الى ذلك البعد الكافي. حتى على الرغم من أننا قد نقر بأن عيد الميلاد هو الاحتفال بميلاد المسيح، إلا أننا في كثير من الأحيان ما زلنا نفشل في فهم أهمية هذا الحدث للعالم ككل ولحياتنا الفردية على حد سواء.

للإجابة فعلاً على سؤال "ما هو المعنى الحقيقي لعيد الميلاد بالنسبة لنا" يجب أن نلقي نظرة على عيد الميلاد الأول ونرى ماذا يمكننا أن نتعلم منه.

**إعلان ميلاد يسوع:**

**فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: «لَا تَخَافُوا! فَهِيَ آتَا أَبْتَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمْ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهَذِهِ لَكُمْ الْعَلَامَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مَقْمَطًا مُضْجَعًا فِي مَذُودٍ» (لوقا ٢: ١٠-١٢)**

الآيات مألوفة، أليس كذلك؟ مألوفة جداً، في الواقع، أنه من السهل أن تفوت كم ملفنة كانت هذه الآيات...

**لَا تَخَافُوا...**

**أَنَا أَبْتَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ...**

**وُلِدَ لَكُمْ مُخَلِّصٌ...**

**مُضْجَعًا فِي مَذُودٍ...**

ولادة يسوع بتلك الطريقة لما كان بمقدورنا أن نخططها كذلك. لا أحد، ومهما كان فقيراً سيصل به الحال لأن يولد في مغارة. لا غرفة ولادة ولا طبيب. تين على الأرض، والحيوانات من كل ناحية. وبتلك الرائحة! ومع كل تلك الفوضى! هذا ليس

للإنسان". الله القدير، الذي يمكنه أن يأمر جيوش وإمبراطوريات، إختار أن يظهر نفسه في فلسطين كطفل صغير، ولد في مذود مهترء. فهذا يظهر تواضع الله.

لمن أعطي إعلان ميلاد يسوع؟ في الخارج بيت لحم أصبحت السماء المظلمة مضيئة بالآلاف من الملائكة. فرق المؤثرات الرقمية من هاري بوتر أو The Lord of The Rings (سيد الخواتم) كانت ستسقط مذهولة أمام مثل هذا المشهد. ولكن، من رأى وسمع الملائكة؟ كان كل هذا لعدد قليل من الرعاة الأميين، والفلاحين الذين يراعون قطعان ملك لغيرهم، هم "نكرة" في مؤخرة الطبقات الاجتماعية. حيث كان للرعاة تلك السمعة المتواضعة لكونكم دنسين ومعرضين للإتساخ حتى أن اليهود النظاميين يشملونهم جنباً إلى جنب مع "الملحدين" ولا يسمحون لهم بالتواجد إلا بالساحات الخارجية للمعبد. ولكن كانوا هم من اختارهم الله ليحتفلوا بولادة ابنه، الذي عرف لاحقاً بـ "صديق الخطاة".

### ممكن الوصول اليه.

في معظم التقاليد الدينية، الخوف هو العاطفة الأولية عندما يقترب الانسان من الله. ولكن في عيد الميلاد، جعل الله مظهره مفاجيء حيث بدى كطفل رضيع في مذود. ماذا يمكن أن يكون أقل خيفة من طفل ولد حديثاً بأيديه ورجله الملفوفة بشدة على جسمه؟ في يسوع، وجد الله وسيلة ليرتبط بالبشر التي لم تعد تشتمل الخوف فيها.

يقول يانسي: "تعلمت عن التجسد عندما إمتلك حوض ماء ملح لتربية الأسماك. وخلال العناية بهذا الحوض، اكتشفت أنها لم تكن مهمة سهلة. كان علي تشغيل مختبر كيميائي محمول لمراقبة مستويات النترات ومحتوى الأمونيا. قمت بضخ الفيتامينات والمضادات الحيوية وعقاقير السلفا وكمية كافية من الإنزيمات لجعل الصخور تكبر. وقمت بتصفية المياه خلال الألياف الزجاجية والفحم، وتعريضه للأشعة فوق البنفسجية. كنت سعتقد، في ضوء كل هذا الطاقة المبدولة بدلاً عنهم، أن أسماكي ستكون على الأقل ممتنة. لكن ليس الأمر كذلك، بل في كل مرة كان ظلي يلوح فوق الحوض كانت الأسماك تغوص سريعاً لتختبئ داخل أقرب صدفة. قد أظهروا لي "عاطفة" واحدة فقط وهي: الخوف. على الرغم من أنني أفتح الغطاء وارمي الغذاء حسب جدول منتظم، ثلاث مرات في اليوم، وإلا ان ردهم كان على كل زيارة لهم علامة مؤكدة على تصميمي للقيام بتعديدهم. لم أستطع إقناعهم باهتمامي الحقيقي. بالنسبة لأسماكي كنت كاله. كنت كبير جداً بالنسبة لهم، أفعالي أيضاً غير مفهومة. أفعالي الرحمة رؤوها قسوة؛ محاولاتي في الشفاء إعتبروها دماراً. لتغيير تصوراتهم، بدأت أرى أن الأمر يتطلب شكلاً من أشكال التجسد: وهو أود أن أصبح سمكة و أن "أتحدث" إليهم بلغة بإمكانهم أن يفهموها".

فكرة أن يصبح إنسان سمكة هي لا شيء بالمقارنة مع فكرة أن يصبح الله طفلاً. ولكن وفقاً للإنجيل وبشارته هذا الذي حدث في بيت لحم. الله الذي خلق المادة قد أخذ شكلاً من أشكاله، هي مثل فنان أصبح نقطة على رسمته أو أن يصبح كاتب مسرحي شخصية في مسرحيته الخاصة. الله كتب قصة، ولكن باستخدام شخصيات حقيقية، على صفحات التاريخ الحقيقي.

### المستضعف.

يكتب يانسي، "أنا أجفل حتى وأنا أكتب هذه الكلمة، وخاصة عند ربطها بيسوع. انها كلمة فظة بالفعل، وربما انها مستمدة من قتال الكلاب وقد تم تطبيقها مع الوقت على الخاسرين المتوقعين وضحايا الظلم. بعد أن قرأت قصص عن ولادة يسوع، لم يعد يسعني إلا أن أستنتج أنه على الرغم من أن العالم قد يميل نحو الأغنياء وأصحاب قوة، إلا أن الله يميل نحو المستضعف. "لقد اسقط الحكام من عروشهم ولكنه رفع المتواضعين. قد ملأ الجياح بالأشياء الجيدة ولكنه صرف الأغنياء فارغين"، هذا ما قالته مريم في ترنيمتها Magnificat (تعظم نفسي الرب)".

ولعل أفضل طريقة لإدراك طبيعة "المستضعف" في تجسد هي ترجمتها لمصطلحات يمكننا ربطها بيومنا هذا. أم غير مرغوب فيها، بلا مأوى، اضطرت إلى البحث عن مأوى أثناء السفر لتلبية المطالبات الضريبية المضمّنة من حكومة استعمارية. وهي تعيش في أرض تحاول النهوض من حروب أهلية عنيفة ولا تزال في حالة من الاضطراب - وضع مشابه إلى حد كبير للوضع في البوسنة الحديثة، رواندا، أو الصومال. مثل نصف الأمهات العالم اللواتي يولدون اليوم، أنجبت الطفل في آسيا، بل في أقصى غربها، في ذلك الجزء من العالم الأقل تقبلاً لابنها الذي حملته. أصبح هذا الابن لاجئاً في أفريقيا، القارة التي ينتمي لها أكبر عدد من اللاجئين الموجودون في أي مكان آخر في العالم. أصبح لاجئاً فيها.

هناك مكان للمهمشين، المحرومين، المنسيين، والعاطلين عن العمل وحتى العاطلين عن العمل في عيد الميلاد.

### فما هو المعنى الحقيقي لعيد الميلاد؟

المعنى الحقيقي لعيد الميلاد لا يعني أناساً يحبون آخرين أو إهدننا هدايا بعضنا لبعض. المعنى الحقيقي لعيد الميلاد هو الله المحب لنا. بل ويعني إرسال الله للهدية الأكثر إدهاشاً وروعة على الإطلاق:

"الحدق الكوني الغامض" دخل داخل الجسم البشري، ويعلمنا أن الله متواضع، ودود ويظهر صلاح للمضطهدين والمظلومين، لذلك أنت وأنا يمكننا معانقته دون خوف، عالمين أن لنا مكان في بيته - نحن مقبولين لديه من خلال يسوع. هذا ما حصلنا عليه في عيد الميلاد. "التحديق الكوني الغامض" أصبح ابتساماً محبة.

### متمنياً عيد ميلاد مبارك!

- سومان

الموارد الأولية: كتاب "يسوع الذي لم اكن اعرفه" - فيليب يانسي; كتابات من ماكس لوكادو